

ما معنى «سختة» ومن هو السختجي؟

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي



استعداد فطري لخدمة كل قادر على الدفع المجزي، حتى لو أمره بأن يذبح أعز من لديه من أهله وأقاربه وأصدقائه وجيرانه الأقرين. وهكذا يصبح الخادم العميل أسير ولائه لأولئك الذين التقطوه من آخر الصفوف، فلمعوه وزينوه ومؤلوه وسلحوه، وجعلوه زعيم حزب وقائد عصابة ومن أصحاب الثروة والوجاهة والسلطة والسلاح. وشيئا فشيئا يصبح من الصعب عليه أن يغادر هذه القوقعة المغلقة، لو صحا ضميره ذات يوم وأراد أن يتحرر من خيوطها الخائفة. ومع الأيام تصبح القوقعة ذاتها هي طوق نجاة، وأداة حمايته من ناسه الغاضبين عليه. والآن دققوا معي في أحوال نوري المالكي وهادي العامري ومقتدى الصدر وخميس الخنجر وأسامة وأثيل النجفي وإياد علاوي ومشعان الجبوري وأحمد الجبوري وصالح الملوك وقيس الخزعلي ومحمد الحلبوسي وعادل عبدالمهدي والعشرات من الآخرين أمثالهم وأعاونهم وأتباعهم، قبل الغزو الأميركي للعراق عام 2003، وكم كان في خزائنه من مال، وفي قصره من أسلحة ومسلحين.

وحاولوا أن تعرفوا كيف أصبح محمد الحلبوسي، مثلا، رئيسا لمجلس نواب الشعب العراقي، وعادل عبدالمهدي رئيسا للوزراء، والنجفي زعيما، ومسعود البارزاني ملكا لمملكة أربيل، وقبائ الطالباني سيد سادات السليمانية. وكيف أصبحت بغداد والمحافظات الملحقة بها، بابل وذي قار والمنفي وميسان والقادسية وواسط وديالى والنجف والبصرة، مزارع خاصة مقلقة موزعة على قادة أحزاب البيت الشيعي، كل حسب ثروته وقوة سلاحه وعدد خدمه وحشمه المسلحين الجاهزين للموت من أجل حمايته من أهله الغاضبين.

والشيء المحزن في كل هذه المعصرة أنكم ستجدون أغلب المجندين المسلحين الذين يقتلون المتظاهرين المسلمين بالسكاكين والعصى وقنابل الغاز السام لحساب الزعيم، رغم علمهم بأنه غير محترم، وبأنه سختجي، قد حملوا سلاحه لا إيمانا منهم بزعامته، ولا حبا به ويمواهبه ومبادئه وحسن سلوكه، ولا من أجل عقيدة أو مبدأ أو مذهب، ولا دفاعا عن طائفة، كما يروجون، بل مدفوعين بالحاجة القائلة إلى المال، وهم الذين كانوا يعيشون بلا عمل ولا مورد، في زمن ردي لا يستطيع فيه أشجع الشجعان أن ينزع لقمة عيشه وعيش عياله بعرق الجبين وبالعامل الحر وبالحوال.

وأكيد أن أغلبهم، حين تقع الواقعة، سيكونون أول المنقلبين على زعيمهم السختجي، وأول المرشحين إلى سحلته في شوارع المدينة. ولنا فيهم أسوة غير حسنة في حالات عراقية عديدة بائسة.

أما عشقوا الزعيم عبدالكريم قاسم، وبلا حدود، ألم يروا صورته في القمر، ثم قتلوه شر قتلة؛ ألم يجرح كثيرون أصابعهم ليصموا بدمائهم الساخنة تاييدا للقاتل الضرورة، ثم تسابقوا لضرب تماثيله بالأحذية؟ وأغلب الظن أن هذا هو المصير المرتقب الذي لا ريب فيه، ينتظر المحتالين المزورين الملققين أعداء شعبهم وجلاذيه وسارقيه. فقط حين تفرغ قرايئهم من آخر ما فيها من الإعياب وحيل وأكاذيب، وحين تحين ساعة الحساب العسير.

كثيرا ما يُسمع المواطن العراقي المبتل وهو يلحن قادة الأحزاب والكتل والتيارات السياسية الحاكمة، اليوم، بعد أن تكشفت له حقيقتهم، وتأكد من أنهم أكذب من من عليه من حكام، منذ تأسيس الدولة العراقية وحتى الساعة، ويقول عنهم إنهم "سختجية". ومن أجل معرفة معنى كلمة "سختة" وتحديد هوية السختجي لجنا إلى غوغل فافادنا بما يلي: "إبان الحكم العثماني للعراق شكا العراقيون، وخصوصا سكان بغداد للوالي العثماني، موظفين أتراكا في الدوائر الحكومية العثمانية يمارسون الاحتيال والغش والابتزاز والرشوة، ولكن باسم القانون وبالكلام المنمق الجميل. فأراد الوالي أن يخفف من غضبهم على موظفيه، فوعدهم بالانقصاص من أولئك السختجية، وهو جمع ومفرد سختجي".

تعالوا ندق سجل حياة القادة الكبار المتحكمين بالعملية السياسية العراقية المغشوشة لنجد أن أغلبهم من أرباب السوابق وأن صفة السختجية تنطبق عليهم بالتمام والكمال

وهكذا راح العراقيون يطلقون هذه الصفة التركية على كل غشاش يدفن لسانه بالسهل، في حين أن أفعاله بطعم السم.

وبما نحن لنا أن نسال، كم واحدا من زعماء الشلل الحاكمة في المنطقة الخضراء لا يستحق أن تطلق عليه صفة "السختجي"؟

تعالوا ندقق في سجل حياة القادة الكبار المتحكمين اليوم بالعملية السياسية العراقية المغشوشة التي زرعه الأميركيون، بالتفاهم مع الإيرانيين والمرجعية، لنجد أنهم، في أغلبهم، من أرباب السوابق، وأن صفة السختجية تنطبق عليهم بالتمام والكمال.

فكل واحد منهم كان، منذ نعومة أظفاره، ميلا إلى الغش والاحتيال والخبث والنفاق، ومقتنعا بانه، بالكسب الحلال ويعرق الجبين وبالنزاهة والشرف، لن يحصل على المال الكافي لستر ماضيه الأسود، ومحوه من ذاكرة العراقيين. فهذا أمر صعب جدا، وأحيانا مستحيل. والأسهل والطريق الأقصر لتحقيق هدف جمع المال والسلطة والسلاح هو امتحان تهريب البضائع والهاريين من وجه العدالة من الوطن إلى خارجه، وتهريب الجواسيس والقتلة واللصوص من خارج الوطن إلى داخله، أو العمل لدى حزب أو هيئة أو منظمة أو جهاز مخابرات اجنبي، إذا ما خدمه الحظ وفاز بالرضا والقبول. ولأن من الطبيعي لأي سفارة أو مخابرات عربية أو اجنبية تحتاج إلى خدم محليين يعملون لحسابها ضد مواطنهم وشعبهم، أن تنحصر تنقيبها في فئة المنحرفين والفاستين والمحتالين، خصوصا ذلك الذي لديه



كورونا الإيرانية أشد فتكا من كورونا الصينية

شهادتها سبكون للعراق شهداؤه. قدر مشترك يجمعهما. ذلك القدر هو من وجهة نظر الأحزاب الحاكمة في العراق، سيثبت العنيدة ويقوي أواصر الصلة مع الجارة إيران التي تم استقبال وياها كما لو أنه حلوى.

على الجانب الآخر هناك شعب يرى الحقيقة كما هي. قم المقدسة صدرت إلى النجف المقدسة وبأيتها المقدسة معادلة كانت واضحة بالنسبة إلى العراقيين المحتجين على الهيمنة الإيرانية قبل تقشي وباء كورونا. إيران لا تصد إلى العراق إلا الموت. لم يتغير شيء. كورونا الإيرانية فتكت بحياة العراقيين من غير أن تتصدى لها الجهات الصحية الرسمية. فذلك التصدي قد يحمل صاحبه إلى التهلكة لأنه يمارس فعلا محرما "دينيا".

ما لم ينتبه إليه أحد أن الحكومة العراقية كانت قد أرسلت في أول أيام الأزمة طائرة إلى مدينة ووهان لتجلى ممثلي صفاقتها المليارية هناك. وحين وصلت الطائرة إلى العراق لم يجز أي فحص لركابها. بالقداسة ومن غيرها، بالحرام ومن غيره، فإن النظام السياسي في العراق مسؤول عن الكارثة التي ستحدث مزيدا من الأرواح في بلد انهار فيه القطاع الصحي وليس هناك ما يشير إلى أنه سيتعافى.

مواطنيها. ولكن الأتباع لا يملكون حرية أن يقوموا بما يقوم به أسياهم. العراق اليوم وقد انتشر الوباء في عدد من مدنه هو ضحية ذلك الغباء الطائفي الذي يزهق أرواح أناس أبرياء في طريق عماء، الذي لا يفرق بين المذهب والوباء، بين العاطفة المجيشة والعلم.

لقد تعامل المسؤولون العراقيون القادم من إيران لا يحمل بين طياته آثارا طائفية ولا علاقة له بالمواقف السياسية المحاززة لنظام المالكي. الصيغة التي تعامل بموجبها حكام العراق مع كورونا الإيرانية لا تليق بدولة تحترم حياة شعبيها. وإذا ما كان الخضوع للنظام الإيراني هو أساس ذلك التعامل مع الظاهرة الخطيرة فإن النتائج الكارثية لا بد أن تؤدي إلى انهيار النظام في العراق.

ذلك ما لا يحسب له السياسيون العراقيون المواليون لإيران. سيكون من الصعب فهم سلوك السياسيين العراقيين إلا على أساس أن كورونا القادمة من إيران هي كورونا عقائدية لا تنطوي الإصابة بها على أي ضرر، بل إن الموت بسببها هو نوع من الشهادة المطلوبة. لقد قرأت في أحد مواقع التواصل الاجتماعي حوارا بين اثنين. يقول الأول "لا خوف من كورونا على بلد يحميه الحسين".

يجيبه الثاني "وما راك بالإمام الرضا (في إشارة إلى الإمام الخامن لى الشيعة المذوقين في مشهد القريبة من قم) هل يعمل حلاقا؟". فكاهة تحمل الكثير من المعاني المساوية.

أعتقد أن الانحياز الطائفي المريض عبر عن غبائه المطلق في هذه الأزمة. فلو ضرب الوباء العراق أولا لأحكمت إيران إغلاق حدودها معه خوفا على الشرق الأوسط.

إلى إعلان خطة ترامب للسلام في منطقة الشرق الأوسط. خلال السنوات القليلة الماضية، مارس الاتحاد الأوروبي تعقلا كبيرا في التعامل مع السياسة الخارجية الأميركية. ليس طوعا وإنما إكراها بسبب تضعف البيت الداخلي للاتحاد وانقسام دوله حول الكثير من الملفات والأزمات الدولية. أما اليوم فيبدو أن التكتل المكون من 27 دولة بعد خروج بريطانيا، يحاول عبر قيادته الفرنسية والألمانية خوض مواجهة غير مباشرة مع واشنطن. بدأ يجرب عرقلة مشاريع الولايات المتحدة في المنطقة العربية، وفي الوقت ذاته يحاول تنفيذ أجندة وخطط أوروبية في المنطقة دون طلب دعم ومساعدة من واشنطن.

المحاولة الأوروبية ترجمت في بعض الخطوات الأخيرة التي صدرت عن بروكسل، مثل رفض صفقة القرن وإقرار البعثة الأوروبية لحظر توريد السلاح إلى ليبيا، ورفض تدخل حلف شمال الأطلسي في الحرب التركية الروسية المحتملة شمال سوريا، إضافة إلى تخلي برلين وباريس عن العداء الدائم لموسكو وصياغتهما لقائمة جديدة من خصوم الاتحاد الأوروبي، بتصدرها النظام التركي بسبب الابتزاز الذي مارسه

لقد تعامل المسؤولون العراقيون القادم من إيران لا يحمل بين طياته آثارا طائفية ولا علاقة له بالمواقف السياسية المحاززة لنظام المالكي. الصيغة التي تعامل بموجبها حكام العراق مع كورونا الإيرانية لا تليق بدولة تحترم حياة شعبيها. وإذا ما كان الخضوع للنظام الإيراني هو أساس ذلك التعامل مع الظاهرة الخطيرة فإن النتائج الكارثية لا بد أن تؤدي إلى انهيار النظام في العراق.

ذلك ما لا يحسب له السياسيون العراقيون المواليون لإيران. سيكون من الصعب فهم سلوك السياسيين العراقيين إلا على أساس أن كورونا القادمة من إيران هي كورونا عقائدية لا تنطوي الإصابة بها على أي ضرر، بل إن الموت بسببها هو نوع من الشهادة المطلوبة. لقد قرأت في أحد مواقع التواصل الاجتماعي حوارا بين اثنين. يقول الأول "لا خوف من كورونا على بلد يحميه الحسين".

يجيبه الثاني "وما راك بالإمام الرضا (في إشارة إلى الإمام الخامن لى الشيعة المذوقين في مشهد القريبة من قم) هل يعمل حلاقا؟". فكاهة تحمل الكثير من المعاني المساوية.

أعتقد أن الانحياز الطائفي المريض عبر عن غبائه المطلق في هذه الأزمة. فلو ضرب الوباء العراق أولا لأحكمت إيران إغلاق حدودها معه خوفا على الشرق الأوسط.

إلى إعلان خطة ترامب للسلام في منطقة الشرق الأوسط. خلال السنوات القليلة الماضية، مارس الاتحاد الأوروبي تعقلا كبيرا في التعامل مع السياسة الخارجية الأميركية. ليس طوعا وإنما إكراها بسبب تضعف البيت الداخلي للاتحاد وانقسام دوله حول الكثير من الملفات والأزمات الدولية. أما اليوم فيبدو أن التكتل المكون من 27 دولة بعد خروج بريطانيا، يحاول عبر قيادته الفرنسية والألمانية خوض مواجهة غير مباشرة مع واشنطن. بدأ يجرب عرقلة مشاريع الولايات المتحدة في المنطقة العربية، وفي الوقت ذاته يحاول تنفيذ أجندة وخطط أوروبية في المنطقة دون طلب دعم ومساعدة من واشنطن.

المحاولة الأوروبية ترجمت في بعض الخطوات الأخيرة التي صدرت عن بروكسل، مثل رفض صفقة القرن وإقرار البعثة الأوروبية لحظر توريد السلاح إلى ليبيا، ورفض تدخل حلف شمال الأطلسي في الحرب التركية الروسية المحتملة شمال سوريا، إضافة إلى تخلي برلين وباريس عن العداء الدائم لموسكو وصياغتهما لقائمة جديدة من خصوم الاتحاد الأوروبي، بتصدرها النظام التركي بسبب الابتزاز الذي مارسه

فاروق يوسف
كاتب عراقي

ضربت قم التي توصف بالمقدسة، ولا أدري لماذا هي مقدسة، بوباء كورونا وصارت تنافس ووهان الصينية التي بدأ في أحد أسواقها ذلك الوباء.

تباطأت دول عربية في اتخاذ إجراءات وقائية في مواجهة الظاهرة الإيرانية فظهرت علامات المرض المعدي في غير مدينة عربية، وكان كل شيء يشير إلى أن العدوى قدمت من إيران. أكان ذلك محتملا وضروريا؟ لقد تعامل المسؤولون العراقيون على سبيل المثال بطريقة فيها الكثير من المزاج وعدم الاكتراث مع تلك الظاهرة الخطيرة، وأظهروا حماسة عقائدية سدت الطريق أمام العلم والسلوك العملي.

لقد تدهورت الحالة في العراق حتى أن النجف، وهي مدينة مقدسة أيضا، قد تم غلق حدودها من غير أن تعترف الحكومة العراقية بحقيقة ما يحدث هناك. ذلك سلوك مستلهم من السلوك الرسمي الإيراني الذي صار يثير الشكوك لدى الجهات الصحية العالمية. لا يمكن أن يفهم الطائفيون في العراق أن المسألة لا تتعلق بالعقيدة. فالوباء لا دين له. وإذا ما تعلق الأمر بالسياسة فإن سلوك المسؤولين العراقيين يعد انتحارا معلنا. فالوباء

لقد تدهورت الحالة في العراق حتى أن النجف، وهي مدينة مقدسة أيضا، قد تم غلق حدودها من غير أن تعترف الحكومة العراقية بحقيقة ما يحدث هناك. ذلك سلوك مستلهم من السلوك الرسمي الإيراني الذي صار يثير الشكوك لدى الجهات الصحية العالمية. لا يمكن أن يفهم الطائفيون في العراق أن المسألة لا تتعلق بالعقيدة. فالوباء لا دين له. وإذا ما تعلق الأمر بالسياسة فإن سلوك المسؤولين العراقيين يعد انتحارا معلنا. فالوباء

محاولة أوروبية للتمرد على هيمنة واشنطن

بهاء العوام
صحافي سوري

يدرك الأوروبيون جيدا خطر المواجهة العسكرية بين الأتراك والروس في الشمال السوري على قارتهم العجوز. لكن ذلك ليس هو الدافع الوحيد لسياسة الخلف حول مدينته من أجل تسوية الخلاف حول مدينة إدلب. هناك دافع آخر يرتبط بمراجعة داخلية لدور الاتحاد الأوروبي في منطقة الشرق الأوسط والسياسة الدولية عموما، استدعتها السياسة الأميركية التي مارست تغييرا واضحا للتكتل في ملفات عدة منذ وصول الرئيس دونالد ترامب إلى البيت الأبيض قبل نحو أربع سنوات.

تعرض الأوروبيون، أقرب حلفاء الولايات المتحدة، إلى حرج كبير بسبب القطبية الأميركية التي همستهم في كثير من القرارات التي اتخذها ترامب منذ قدومه إلى السلطة، بدءا من انسحابه من اتفاقية باريس للمناخ، ثم انسحابه من الاتفاق النووي الإيراني، مروراً بحربه الاقتصادية على الصين وضغطه على دول حلف الناتو من أجل رفع مساهمتها في ميزانية الحلف، وبعدها تقاربه الانتهازي مع تركيا في سوريا، وصولاً

محاولة أوروبية للتمرد على هيمنة واشنطن

يستمع أردوغان الرغبة الأميركية بدعمه ضد الروس، لكنه يخشى غدر البيت الأبيض في منتصف الطريق. لذلك يفضل خيار المؤازرة الرسمية من حلف الناتو لتحسين من البر والجو والبحر. لكن هذه المؤازرة لن تأتي إلا في حالتين، الأولى موافقة الأوروبيين واتفاقهم مع الأميركيين على مساعدة الأتراك، والثانية أن يجعل أردوغان من الحرب في سوريا بمثابة اعتداء مباشر على دولة عضو في حلف شمال الأطلسي، وبالتالي يجب على الدول الأعضاء تقديم العون لها لصد العدوان عليها.

يفضل ترامب أيضاً أن يتكفل الناتو بحروبه في الشرق الأوسط والمنطقة العربية. فهو بذلك يحتفظ بقيادة بلاده لهذه الحروب، وفي الوقت ذاته يتقاسم تكاليفها المادية والعسكرية والبشرية مع دول الحلف. مثل هذا السيناريو ينتج لترامب حماية شعبيته التي يحتاجها في الانتخابات الرئاسية المقبلة. فالحروب تحت غطاء الناتو لا تخبر ضده نقمة داخلية. كما أنها تنعش سوق السلاح الأميركي لأن كل من يخطر ببالها أن يستفيد منها حول العالم، لا بد له أن يتبضع من المصانع العسكرية الأميركية ويبرم صفقات التسليح السرية والمعلنة مع ترامب.